الأرض التي وزّعها المذياع

وأدرت مذياعي على صوت.. كمنزلق الصخور..
ينهدُّ .. كالشلال أسرف في التدفق .. والهدير ...
ويرق حيناً ... فهو أنينُ في المسامع من حريرِ ...
وحبست انفاسي على مزقٍ .. من «النبأ» المثير...
« الظلم .. حرونا البلاد من المآثم والشرور ..
والفقر .. لن يمشي له طيف على جفنيْ فقير ...
والجوع.. أشبعنا الجميع.. فصوته نغم السرور..
والعدل !.. يا للكوخ يلطم — باسمه — صدر القصور ..
والحصب .. أغرقنا القفار الجرد .. بالغدق النمير ..
والأرض !.. — واشتدّت على الاسماع جلجلة الأثير —
الأرض .. للساقين تربتها بدمعهم المرير ...
للغارسين .. دماءهم فيها مع الزرع النضير ...
لدعامة الوطن العزيز ، ونسغه السّمْح الطهور ...
الأرض .. للفلاح ... للعبد المسخّر .. والأجير ... »

★

ومضى « البلاغ » يهز مذياعي .. بمعجزة العصور ...
وتركته ... وأظنه ردّ الحياة إلى القبور ...

★

ووقفتُ .. فازدحمت على جفنيّ أطياف المساء ...
ولمحتُها... صُوَراً تعثّرُ بالشهيق .. وبالبكاء ...
وتسمّرت عيني على «شبحٍ» تخضب بالدماء...
وأعدتُ « قصته » ... جراحُ الأرض في كبد السماء ...
وصراخ محرومين إلاّ من تأوهة الشقاء ...
وكفرتُ بالكف التي لم تمتلك غير الرثاء ..
هوذا .. خيال المشهد الدامي .. أجرره ورائي !..

★

الشمس .. تلتهم المسالك بالحرارة .. والضياء ...
والدرب .. درب القرية الغبراء .. أقفرُ من شتاء ..
تهدا .. وتذروها الرياح عجاجةً .. ملء الفضاء ..
هي في الحياة كسالكيها .. لا تزيد على هباء ...
ومن البعيد .. تلوح اكواخٌ .. وتغرق في الخفاء ...
متناثرات .. كالجماجم .. قد نُبذن إلى العراء ...
دعيت « بيوتاً » .. في الكثير من السماحة .. والسخاء ..

الحالة فسجلها الادباء وصدروا عنها .

ومع ذلك فالملاحظ — في جميع البلاد العربية — ان حركة النقد قد اخذت تتمخض اليوم عن اتجاهات ادبية تمليها الحياة ويوضح النقد بواعثها واهدافها ، فنجد اليوم من لايزالون يتشبثون بنظرية « الفن للفن » او « الادب للأدب » بينما نجد آخرين يقاتلون في حرارة ليعمل الادب في خدمة الحياة وخدمة المجتمع حتى يلقى استجابة من الجماهير التي طال بها الظلم واستعباد الفقر وضلال الجهل ، كما نجد اصطداماً في مجال الشعر بين الخطابة والهمس بعد ان اصبحت الروح العربية تهفو الى الصدق وتطمئن الى اسرار النفس البشرية التي لا يمكن ان تقال الاهمساً لما تتضمنه من آلام وآمال واحلام.

وليس من شك في ان الحملات الجبارة التي قادها النقد هي التي خلصت الادب العربي من الصناعة اللفظية التافهة ، وردته الى المعين الانساني العام ، كما فتحت عليه منافذ النسمات الغربية لتقضي على ما فيه من ركود وتعفن حتى اصبح الادب العربي المعاصر يسير في تيار الانسانية العام وان كان لا يزال في حاجة الى مزيد من القوة والاستحصاد حتى يساير ذلك التيار ويدرك طلائع القافلة.

جواب الاستاذ خليل هنداوي

أذكر انني كتبت منذ سنين بعيدة مقالة في وظيفة النقد ، واذكر انني خرجت الى رأي اقول فيه : « ان نقدنا الصحيح قد بدأ قبل ادبنا الشخصي الصحيح » . وقد كان هذا الرأي صحيحاً ، لأن نقدنا هو الذي وضع حداً « للأدب المبتذل ، والشعر المسخر » وهيأ طريقاً معبدة ، واضحة المعالم لأدب جديد يعبر عن شخصيتنا واهوائنا وافكارنا. وان نظرة واحدة الى ما نقرأ الآن مما ينتجه ادباؤنا في مختلف الاقطار العربية تثبت ان النقد هو الذي وجه هؤلاء الأدباء ، وساهم في تصحيح المقاييس الأدبية، والتوجيه الأدبي هو الذي يستمد من الحياة الصحيحة ، لا من الكتب . ولولا هذه المقاييس النقدية التي فرضت النظرة المستقيمة ، والذوق السليم لما طغا في هذه الثروة الضخمة على ضيق الزمان والمكان . ومن ذا ينكر اثر « الغربال » لميخائيل نعيمة في توجيه الشعر من ناحية الى ناحية ، من ناحية الصيغ اللفظية والقوالب التقليدية الى ناحية المعاني والاحساس البسيط الصادق، ومن ذا يجحد نقد الجبارة « طه حسين والعقاد والمازني » في ايام كان الأدب فيه فكرة محنطة ، وكان الادباء صانعين مقلدين ؟

ومن هنا ارى ان النقد الحديث يعود اليه الفضل كله في توجيه ادبنا المعاصر.

اما النقد الحديث الذي حمل مشاعله رجال تفهموا الادب تفهماً مستقيما ، ونقلوا فهمهم الى الميدان الادبي نقلا مستقيما فهم ابناء مدرستين لا ثالث لهما ... مدرسة النقد الغربي الناضجة التي استقامت موازينها في نقد الآثار

— التتمة على الصفحة ٧٩ —

هي مسرح الصور التي انتفضت تعثّرُ بالبكاء ...
هي قرية الشهقات .. والشبح المخضب بالدمـــاء ..

★

أترك غبار الدرب خلفك .. وانحدر نحو الطلولِ ..
ودع « الأثير » بقصة الفردوس يهدر كالسيولِ ...
لا يسمع الريف « المذيعَ » .. ليستفيق على الذهول ...
ألبؤسُ لقّعه .. فمـــا لسواه ثمّـــة من سبيل ...
أترك غبار الدرب يعبث .. وانحدر نحو الطلول ...
« ألقريةُ » الغبراء .. صامتة الجوانب .. كالقتيل ...
وبيوتها السبعون .. مقبرةٌ خوت عمـــا قليل ..
تتململ الشكوى بهـا خرساء .. أبلغ من عويل ..
ما زال لحم البائسين .. على ترابهمُ الذليـــل ..
ما زال سوطُ « المنقذين » .. يرنُّ مسعور الغليل ..
سبعون كوخاً .. ودّعت منها الحياة .. بلا قفول ..
سبعون كوخاً .. أرغمت تحت السياط على الرحيل ..
لفظتهمُ .. خِرَقاً .. يمزقها الطوى عبر السهول ..
ألصٌّ .. ربُّ الجاه ، والسطوات ، والباعِ الطويل ..
ألناهبُ للظل الظليل .. يضيع في الظل الظليل ...
ألصٌّ شاءَ ... فلم يكن « لعبيده » غير المثول ...

★

من شرفةٍ في القصر تلمع فوق اكواخ العراةِ !..
من مقعدٍ .. لفّته أهدابُ الحرير .. منمنماتِ ...
أومت يدان صقيلتان .. الى الحقول النائمـــات :
« ستكون لي ! ... » ورمى بنظرته السنابل مائجات ...
خسىء العبيدُ .. ليُحرِقوا فيها الوجوه الشاحبات ...
ولْيُنبِتوا فيها الحيـــاة .. فلن يرِفّ سوى نباتي
« ستكون لي .. » والويلُ .. ويل فمٍ يُزَحزَح عن شكاة !

★

وأفاقت السبعون .. من دور المهازيـــل العراة ..
إستيقظت يوماً .. عـلى الصرخات حمراً ، مفجعات ..
ومروّعين .. عـلى الطريق .. يلملمون مروّعات ..
و « السيد » الجبار .. يسخر بالوجـــوه الضارعات ..
ويشير ؛ فالأجداث تلفظ ما تظلل من رُفـــات ..
وتمرّدت بعض الظهور .. على السياط الملهِبات ..
وتشبثت بترابها المسلوب ، بالدم ، بالحيـــاة ..
هيهاتِ !. صرخةُ معدَمين .. تمزقت في عاصفات
والحقُّ .. وارته « العدالةُ » تحت اقـدام الطغاة !.

★

وأمام قصرٍ ، في المدينة ، ضاربٍ شطر السحابِ ..
أغفى بساحته الجلالُ .. فما يُفيـق عـلى مُصاب ..
علِقتْ خطىً في الأرض .. تلمسها بجهدٍ ، واضطراب
تدنو .. لتطرح في يمين « العدل » مأســـاة الذئاب ..
أوليس مفزَع كل مظلمةٍ .. الى هذي « الرّحاب » ؟؟
وتهاب .. فالدرج الصقيـل هناك يُنـذر بالصعاب ..
وتعلّقت عينان في الشُّرَف السحيقة ، والقبـاب ..
وتحسس « الشبح » الخضيب دمـاءه فوق الثياب ..
« لا .. لن أعود .. الى الطريق ، الى التشرد ، والخراب ،
لا .. لن أعود .. وسوف أقرع دون حقي كل باب !.
أرضي .. التي روّيتهـا بالدمع ، بالدم ، بالعذاب ..
داري ، التي آوت أبي ، ونسجتُ في يدها شبـابي ..
غُصِبت .. وشقّقت السياطُ على حجارتها إهابي ..
لا .. لن أعود .. أليس في الدنيا يدٌ تحنو لما بي ؟! »

★

ودنا من الدرج الصقيل .. فزمجرت احدى الحراب ..
وتلقّفتـــه « قبضـــةٌ » بين الدمادم ، والسباب ..
« إرجع .. » وأوشك آخر الانذار يهوي بالعقاب !
ورنا الى الشُّرف البعاد .. وعاد مخنوق الجواب !.

★

أما « المذيعُ » فلم يكن قد كفّ بعدُ عن الهديرِ :

. . . . . .

« ألظلم .. طهّرنا البـــلاد من المآثم والشرور ..
والفقر .. لن يمشي له طيف عـــلى جفنَيْ فقـــير !
والجوع .. أشبعنا الجميع .. فصوته نغَم السرور !
والعدل .. يا لَلكوخ يقصم - باسمه - ظهر القصور
والخصب .. أغرقنا القفار الجرْد بالغدقِ النمـــير !
والأرض .. للساقـــين تربتَهـــا بدمعهمُ المرير !
للغارســـين دمـــاءهم فيهـا مع الزرع النضير !
لدعامة الوطن العزيز .. ونسغه السمح الطهـــور !
ألأرض .. للفلاح ، للعبد المسخّر ، والأجـــير .»

حلب

سليمان العيسى